القصة فى العالم

بقلم : على شلش

الى أين تسير الرواية المعاصرة ؟

فى أواخر الصيف الماضى شهدت مدينة ليننجراد ـ لاول مرة فى تاريخها ـ مؤتمرا لادباء اوربا وكتابها . ولاول مرة أيضا يلتقى ادباء الاتحاد السوفيتى بزملائهم من ادباء وكتاب البلدان الاوربية المختلفة فيما عدا أسبانيا والبرتغال اللتين منعتا ادباءهما من حضور المؤتمر .

واتخذت جلسات المؤتمر ـ التى دامت بضعة أيام ـ شكل المائدة المستديرة ، حيث تدارس الادباء والكتاب عددا من القضايا الادبية الهامة، كان على رأسها قضية « الروايو المعاصرة اتجاهاتها ومصيرها » .

وقد شهد المؤتمر عدد كبير من الكتاب والشعراء والنقاد والمفكرين والناشرين ، نذكر من بينهم: انجوس ويلسون، وليام جولدنج ، برنارد وول (انجلترا) بانتيلى زاريف (بلغاريا) تيبور ديرى وجابور تولناى (ايجر) هانزكوش (المانيا الديموقراطية) الياس فينزيس(اليونان) كات أوبرين (ايرلندا) جوزيبى أونجاريتى ، جيانكارلو فيجوريللى ، جويدو بيوفينى ، انزو باتشى (ايطاليا) ريزار ماتوزوسكى (بولندا) هانز ورنر ريختر (المانيا الاتحادية) كاى لايتينين (فنلندا) سارتر ، الان روب جرييه ، ناتالى ساروت برنار بنجو (فرنسا) ايفان لاليتش (يوغوسلافيا) شولوخوف اهرنبورج ، سيمونوف ، كونستانتين فيدين (الاتحاد السوفييتى) .. وغيرهم .

وقد شغلت المؤتمرين قضية الرواية المعاصرة ، فاولوها القسط الاكبر من بحثهم ونقاشهم ، ودرسوا « أزمتها الراهنة » ، و « الاخطار التى تهددها » كما حللوا بواعث هذه الازمة واوجهها . غير أن الروائيين السوفييت حاولوا أن يعرضوا القضية بشكل آخر فرضوا ـ بداءة ـ الزعم بأن الرواية المعاصرة تحتضر ، ودللوا على ازدهار هذا الجنس الادبى المعمر ذى التراث العريق ، بل انهم تنبأوا للرواية بمستقبل زاهر خصب . ومن ثمة رفضوا وضع القضية على مستوى « الازمة » ، واضافوا ان الازمة ليست سوى حالة عامة تخص الفن الغربى وحده بشكل عام ، أو الفنان الغربى بمعنى أدق ، نتيجة لما يعانيه من تناقض ويأس ، وخوف من الفناء النووى ، وشك فى القيم الانسانية النبيلة . فهم ـ اى السوفييت ـ يعتقدون أن شكل الحياة ومضمونها فى حالة تغير دائم ، وأن الانسان نفسه ـ وعقليته ـ لا يملك ان ينعزل عن هذا

التغير المستمر . وبالتالى فان الفنان بشكل عام ، والروائى بشكل خاص ، مطالب بأن يلاحظ هذا التغير ، حتى يتحمل مسئولياته والتزاماته . يقول الروائى كونستانتين فيدين فى كلمته بالمؤتمر :

« ان مادة الواقع فى حالة جريان دائم . وبالتالى فانه من الطبيعى أن تتجسد هذه المادة فى الرواية من خلال التغيرات ، فالشكل ليس لباسا جاهزا، وانما هو مستمد من المادة ذاتها التى ينتقيها الروائى ويختارها »

وتحدث الروائى الايطالى اونجاريتى فكان حديثه قريبا من الفهم السوفييتى للقضية . فقدذكر أن عالمنا يتغيربسرعة، وان كل يوم يأتى بجديد فى الشوارع والمدن ووسائل النقل ، بل وفى أفكارنا عن الفضاء ، واننا نطوف بالعالم ونحن جلوس فى مقاعدنا لانبرحها ، بل ونسافر الى ماوراء حدود هذا العالم . وهذا كله من شأنه أن يستحث الفنان دائما وان يدفعه الى البحث عن وسائل جديدة للتعبير . ذلك لان الفن ــ فى رايه ــ فى صراع دائم مع العالم من أجل أن يتمكن من خلقه وتشكيله ، والوصول الى حقيقة جوهر الانسان .

غير ان الرواية الواقعية التقليدية لم تسلم من الهجوم والاستنكار . فقد استبعدها البعض من كتاب فرنسا وايطاليا بصفة خاصة ، وقال مهاجموها انها شاخت وجمدت ، وأن هذه الاشكال تفرط فى الوصف والتفصيل ، وتعجز عن أن تعكس واقع الحياة المعاصرة التى تتغير بسرعة وتتطلب التركيزوالاقتصاد عن حديثه عن جويس وكافكا وبروست فى الوصف والتفصيل . وقال الروائى الفرنسى الشاب روجر كالوا ان «ازمة الرواية» تظهر جلية فى محاولات الكتاب المعاصرين وسعيهم وراء مسالك جديدة فى الفن ، لكنه اضاف أن هذه المساعى غالبا ماتتسم بطابع « أكروباتى »

اما الروائى الايطالى جويدو بيوفينى فقد احتد فى الهجوم على الرواية التقليدية ، فقال انه لا يوجد فى الدول الغربية كاتب واحد يسلم بروايات القرن الماضى ويحتذيها . لكنه طالب الكتاب بدراسة تراث ديستويفسكى ومارسيل بروست وجيمس جويس بدعوى أنهم انفردوا بالكشف عن عالم الانسان الداخلى ، رغم تمزقهم وانهيارهم . وعلق زميله فيجوريللى عند حديثه عن جويس وكافكا وبروست بقوله : « نعم ، انهم آباؤنا ، لكن ألم يصبحوا الآن فى عداد اجدادنا ؟ » . وعلى هذا النحو سار معظم الكتاب الجدد الذين ظهروا بعد الحرب الثانية فى فرنسا وايطاليا ، وابتدعوا مدارس فنية جديدة فى الرواية اهمها مدرستا : « الواقعية الجديدة » فى ايطاليا ، و « الرواية الجديدة » فى فرنسا . فهم لا يقبلون التلمذة على أيدى كتاب القرن الماضىء كما يرفضون ما يكتبه زملاؤهم الروس فى ظل واقعيتهم الاشتراكية . ويعتبرون أن جيل الروائيين الاوربيين الذى ظهر فىهذا القرن وحاول أن يجلو دخائل النفس البشرية ــ مثل كافكا وجويس وبروست ــ قد أدى دوره وأن احتذاء محاولاته ضرب من العبث ، وان مشاكل هذا العصر لا تحلها الا أشكال جديدة كل الجدة تتناسب مع ضخامتها وتنوعها وسرعتها . ومن ثمة فهم لا

يكفون عن التجريب وان جاء بشكل « اكروباتى » كما اشار واحد منهم .

وقد أشار الروائى الايطالى جياكومو دبندتى الى تجارب زملائه فى الرواية ، فذكر أن ثمة خطريين يواجهان اتباع الواقعية الجديدة فى ايطاليا ، أولهما يمثله الاتجاه الذاتى الذى أغرق فيه الكتاب أنفسهم ثانيهما يمثله الاتجاه الطبيعى الذى ارتاده زولا من قبل ، وهما اتجاهان انحدرت اليهما الواقعية الجديدة بفعل الازمات الداخلية العميقة التى يعانيها الكتاب وتسبب لهم انعدام الراحة النفسية . وقد أدى ذلك الى ظهور عدة روايات غير ناضجة ، تفتقر الى الشكل الروائى المقبول ، وتقترب من شكل « المفكرات » التى يحتفظ فيها المرء بملاحظاته وأفكاره اليومية . كما أشار دبندتى الى أن الناقد الايطالى لا يجد مبررا للتعاطف مع مثل هذه الاعمال الا لانها تيح للمرء مواجهة « اللا متوقع واللا معروف مما هو موجود فى حياتنا اليوم »

اما انصار مدرسة الرواية الجديدة فى فرنسا فقد حملوا حملة شعواء على الرواية الكلاسيكية والرواية الواقعية روب جرييه انه ينبغى أن يبطل العمل الاشتراكية. فقال مؤسس المدرسةآلان بالرواية القديمة وقيم القرن التاسع عشر ، وان يسعى الكتاب الى اكتشاف وسائل جديدة فى التعبير لتحل محل تركة القرن الماضى .أما الرواية الواقعية الاشتراكية فهى ــ فى رأيه ــ لا تقنع ولا تشبع ، لأنها تحتفل احتفالا أساسيا بقيم اخلاقية أصبحت ذائعة بين الناس، يعرفها القاصى والدانى . ثم تبعته زميلته ناتالى ساروت فصدقت على رأيه ، واضافت ان الكاتب مطالب بأن يتحولعن ذلكالواقع الظاهر المرئىالذى عرفه الناس ودرسوه بالفعل ، حتى يخلق « واقعا جديدا » من صنع يديه، ويكشف ما كان مخبوءا ، وأنه مطالب بأن يركز انتباهه على العالم الداخلى الغريب بالنسبة له . ومع ذلك فقد اعترف الروائيون الفرنسيون الجدد ــ وشاركهم سارتر هذا الاعتراف ــ بأن الكتاب الغربيين لا يصلون الا لعدد ضئيل من القراء على عكس زملائهم فى البلدان الاشتراكية مما يجعلهم اقل تعرضا لتبعات زملائهم الاشتراكيين . وعلق الناقد السوفييتى سورين جاوزاريان على ذلك بقوله ان الروايات لا تخلق لذاتها . وانما هى تكتب لتقرا والرواية التى لا قراء لها تكون فى حكم العدم . ثم ذكر انمواطنيه منالروائيين لا تشغلهم مشكلة القارىء بقدر ما ماتشغلهم مشكلة تجويد انتاجهم والارتفاع بمستواه . وانتقلالى ماقالته ساروت فقال ان الحقيقة لا يمكن أن تتحقق فى الفن بالاعراض عن الواقع ولا بالتسليم الآلى بجريان الحياة أو الوعى ، كما لا يمكن أن تخرج حقيقة فنية عن طريق الخيال الخلاقوالتحليق والرموز الا اذا ارتبط الكاتب بحياة الناس وحقق اختيارا هادفا للمادة الخام ، أى حين يعرف بوضوح ما يجاهد من أجله .

وهكذا اثارت « الرواية الجديدة » معركة بين الشرق والغرب فى قارة واحدة . ورغم أن انصارها يزعمون انهم يظهرون للقارىء ما يرونه بالدقة ، بلا زيادة ولا نقصان ، وأنها الشكل الوحيد الذى يتيح لهم التعبير عن عالم اليوم ، الا انأنصار الواقعية الاشتراكية لم

يرحبوا بها ورفضوا فكرة حرية الخيال والتصـــور التى اثارها « الروائيـون الجدد » ، بدعوى أن الخيال لا يثير فى النفس دهشـــة غريبة ، وانه محدود دائما ولا يملك ما يملكه الواقع الحقيقى من ثراء وتنوع هائل .

على أن نجاح هذا المؤتمر ان قيس بعمق ابحاثه ، فانما يقاس أيضـا بمـا حققه من صلة بين كتاب الغرب والشرق، على اختلاف انظمتهم ومذاهبهم ، وما يمكن أن تؤدى اليه المناقشات الودية التى تبودلت من اثراء للرواية المعاصرة والزامها بمسئولية اسـتلهام الافـكار الانسانية الايجابية ، فالرواية هى مرآة الانسان المعاصر وسبيل الى فهم العالم الذى يعيش فيه ولقد علق سارتر على المؤتمر بقوله :

« لقد تذكرنا مرة اخرى كيف أن مشاكل الثقافة وحياة الانسان والمجتمع انما هى جميعا متصلة لا تتجزأ »

فى سطور :

● **أجرت صحيفة الصنداى تايمز تحقيقا أدبيا حول أبرز الكتب التى ظهرت فى العام المنصرم ، اشترك فيه سبعة من النقاد والمحررين الادبيين المعروفين فى أربع دول هى : الولايات المتحدة ، فرنسا المانيا ، ايطاليا . ونقتطف هنا ما جاء بهذا التحقيق خاصا بالرواية والقصة ففى الولايات المتحدة كانت رواية ١٩٦٣ هى « الشلة » للكاتبة المعروفة مارى مكارثى ، وفى فرنســا ظفرت باللقب روايتان هما : « الدعوى الشفوية » للكاتب لى كلوزيو ، « وثمار الذهب » للكاتبة ناتالى ساروت . وفى المانيا كانت رواية العام هى « اليد الناعمة » للكاتب جنتر جراس . أما فى ايطاليا فقد فازت روايـة « لا شىء يمضى » للـكاتب توماسولا ندولفى .**

ومن الطريف أن الصـحيفة ذاتهـا فى انجلترا عام ١٩٦٣ على عشرين كاتبا طرحت قضية أحسن الكتب التى ظهرت من كتابها ، لكنهم أجمعوا على أن نصيب الاسد من الجودة والشهرة كان للاعمال غير القصصية وخاصـة الدراســات الادبية والتاريخية .

● أطلق الكثيرون على عام ١٩٦٣ لقب « عام الاحزان » أو « العام المر ». فقد خسر العالم خلاله عددا من عظمائه فى السياســة والدين والادب . وفى القصـة خسر العـالم الروائى الفرنسى المتعدد الجوانب جان كوكتو ، والروائى الانجليزى الدوس هكسلى وزميله س. س. لويس الذى اشتهر بقصته «خارج الكوكب الســاكن » وهى قصة علمية تصور الحياة فى المريخ .

● **وليام جيرهاردى روائى انجليزى طواه النســيان ، وانزوى بعيــدا عن الاضواء لا يجد من يأخذ بيده من النقاد طيلة العشرين عاما الماضية ، رغم أنه يعد من أطرف الكتاب الانجليز فى هذا القرن ، وأكثرهم تميزا بخفة الدم . واخيرا نقب عنه فيليب توينبى معقب جريدة اذوبزرفر ، والتقى به ، ثم كتب عنه مقالا طويلا بعنوان: « موهبة منسية تعود الى الظهور » ، حلل فيه أعماله وأسباب انقطاعه عن الـكتابة منذ عام ١٩٤٠ ، كما لخص أفكاره وآراءه فى الرواية والادب ، ومنها أن الكاتب انسان ـ وليس آلة ـ ينبغى أن يكتب من وحى تجربته الخاصة فى الحياة ، وأن الروائى الممتاز يستحق لقب الشـــاعر ، وأن**

وظيفة الشاعر ـ وبالتالى الروائى ـ هى أن ينظر فى الحيـــاة اليومية وأن يتأملها كى يغوص الى عالم الاحلام ثم يعود الى عالم الواقع محملا بثمار الفن، كما أن موضوعات القصص مطروحة فى الطريق لكل من يشـــاء ، وأخيرا فان وظيفة الشاعر فى النهاية هى أن يكشف عما فى الحياة من جمال .

● علق النـــاقد الانجليزى جون ويتمان على زيارته الاخيرة لباريس بأن مدينة النور لم تتغير منذ خمسة اعوام الا فى أمرين أساسيين : أولهما أن مكانة الجنرال ديجول قد ذابت بسرعة شديدة وثانيهما أن مدرسة «الرواية الجديدة» واضاف الناقد ان المفهوم الروائى السائد قد خطت الى الامام خطوات جبارة ! . . فى فرنسا اليوم ينحصر فى أن « المطلب الاساسى فى كتابه الرواية ليس العقدة أو رســـم الشـخصيات أو الوصـف الاجتمـاعى ، وانما هو خلق التدرج الشـــعرى ... ومفهوم « التـدرج الشـــعرى » فكرة مثيرة قد تدخل فى الخط المنطقى لتطور الرواية منذ فلوبير الى يومنا هذا » .

● **صدرت للروائى الروسى الاصل الامريكى الجنسية فلا ديمير نابوكوف رواية جديدة بعنوان ((الهدية)) ... ويعدها النقاد أروع أعماله بعد ((لولتيا))**